

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين

أتحـدث^١ بـمـنـاسـبـة مـولـد الصـدـيقـة الطـاهـرـة فـاطـمـة (عـ) عـن سـوـرـة الكـوـثـرـ، المـفـسـرـون يـخـتـلـفـون في تـشـخـيـص معـنـى الكـوـثـرـ، الكـوـثـرـ معـنـاه مـبـالـغـة في الـكـثـرـ فـيـفـسـرـونـه بـالـخـيـرـ الـكـثـيرـ، لـكـنـ ماـهـوـ مـصـدـاقـ هـذـاـ الخـيـرـ الـكـثـيرـ؟ يـذـكـرـونـ آرـاءـ مـخـتـلـفـةـ، مـنـ الـآرـاءـ أـنـ الـمـقـصـودـ بـالـكـوـثـرـ هـوـ فـاطـمـةـ (عـ)ـ وـلـوـ لمـ يـرـدـ هـذـاـ الرـأـيـ فيـ روـاـيـةـ، فـسـوـرـةـ الكـوـثـرـ عـادـةـ حـسـبـ هـذـاـ التـفـسـيرــ تـصـبـحـ سـوـرـةـ ذـكـرـتـ شـيـئـاـ قـدـ اـنـتـهـىـ وـلـاـ تـحـمـلـ الـمـسـلـمـيـنـ أـيـةـ مـسـؤـولـيـةـ، أـوـ بـتـعـبـيرـ آـخـرـ أـنـ هـذـهـ السـوـرـةـ الـمـبـارـكـةـ لـاـ تـهـدـيـنـاـ إـلـىـ شـيـءـ وـإـنـاـ تـبـيـنـ فـقـطـ شـيـئـاـ قـدـ حـصـلـ فـيـ ذـلـكـ الـحـيـنـ، جـمـلـةـ خـبـرـيـةـ (إـنـاـ أـعـطـيـنـاـكـ الـكـوـثـرـ)ـ جـمـلـةـ إـنـسـائـيـةـ (فـصـلـ لـرـبـكـ وـأـنـحـرـ)ـ ثـمـ جـمـلـةـ خـبـرـيـةـ أـخـرـيـ (إـنـ شـائـنـكـ هـوـ الـأـبـتـرـ)ـ، هـذـهـ الـمـشـكـلـةـ لـيـسـتـ خـاصـةـ بـهـذـهـ السـوـرـةـ، أـنـتـمـ حـيـنـمـاـ تـقـرـأـوـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـتـرـاجـعـونـ تـفـاسـيـرـ تـجـدـونـ أـنـ الـقـرـآنـ بـهـذـهـ الـطـرـيـقـةـ لـاـ يـهـدـيـ، نـحـنـ نـحـاـوـلـ أـنـ نـفـهـمـ هـذـهـ السـوـرـةـ فـهـمـاـ نـهـتـدـيـ بـهـ، وـأـتـحـدـثـ بـهـذـاـ الـحـدـيـثـ عـلـىـ أـسـاسـ أـنـكـ رـاغـبـ فـيـ مـعـرـفـةـ الـدـيـنـ، لـاـ أـنـكـ أـنـتـ فـقـطـ خـصـصـتـ هـذـاـ الـوقـتـ لـأـنـ تـسـتـمـعـ حـدـيـثـاـ عـابـراـ لـاـ تـسـتـهـدـفـ مـنـ وـرـائـهـ شـيـئـاـ، أـنـتـ أـكـبـرـ مـنـ هـذـاـ

ماـهـوـ الـكـوـثـرـ؟ هـلـ هـوـ نـهـرـ اـسـمـهـ الـكـوـثـرـ فـيـ الـجـنـةـ؟ أـوـ هـوـ اـسـمـ الـخـوـضـ الـمـعـرـفـ لـلـنـبـيـ (صـ)ـ الـذـيـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ (عـ)ـ يـسـقـيـ مـنـهـ الـمـؤـمـنـيـنـ فـيـ الـجـنـةـ؟ كـيـفـ يـسـقـيـ؟ كـيـفـ..ـ؟ وـالـكـثـيرـ مـنـ كـيـفـ؟ـ لـاـ نـعـرـفـ مـاـ تـفـاصـيـلـ مـاـ يـحـدـثـ فـيـ الـجـنـةـ هـلـ هـذـاـ أـمـ مـاـذـاـ؟ـ

نـنـطـلـقـ مـنـ وـاقـعـ الـنـفـوـسـ الـبـشـرـيـةـ ثـمـ نـحـاـوـلـ أـنـ نـفـهـمـ السـوـرـةـ وـنـفـهـمـ الـكـوـثـرـ عـلـىـ ذـلـكـ الـأـسـاسـ، الـكـوـثـرـ يـعـنـيـ الـخـيـرـ الـكـثـيرـ، اللـهـ عـزـ وـجـلـ لـمـ يـعـيـنـ وـلـمـ يـشـخـصـ هـذـاـ الـخـيـرـ الـكـثـيرـ الـذـيـ وـعـدـ بـهـ رـسـوـلـهـ (صـ)، وـهـذـاـ التـرـكـيـزـ يـعـنـيـ أـنـ هـذـاـ أـعـظـمـ خـيـرـ أـوـ مـنـ أـعـظـمـ الـخـيـرـاتـ الـتـيـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ

^١ تـحـدـثـ بـهـ السـيـدـ مـحـمـدـ عـلـيـ الـبـاقـرـيـ حـفـظـهـ اللـهـ فـيـ ظـهـرـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ بـتـارـيـخـ ١٩ـ جـمـادـىـ الـآـخـرـةـ ١٤٢٥ـ المـوـافـقـ ٤ـ٨ـ٦ـ، وـقـدـ تـطـقـعـ بـعـضـ الـأـشـخـاـصـ بـطـبـاعـتـهـ مـعـ شـيـءـ مـنـ الـتـصـرـفـ نـتـيـجـةـ تـحـوـيـلـ الـحـدـيـثـ مـنـ مـسـمـوـعـ إـلـىـ مـقـرـوـءـ وـقـدـ لـاـ يـخـلـوـ مـنـ أـخـطـاءـ غـيـرـ مـقـصـودـةـ

وعد بها نبيه (ص)، نحن الآن حسب مقاييس كل واحد منا توجد أشياء تعتبرها خيراً وتوجد أشياء تعتبرها شراً، هذا موجود في حياة كل إنسان، نسعى إلى الخير ونتجنب الشر، والخير كذلك درجات والشر كذلك درجات، شرًّا أكبر من شر، فإذا دار الأمر بين أن يجتنب الشخص هذا الشر أو ذاك الشر فهناك يجتنب الأكثر شرًا، وكذلك الخير فيه خير أكثر من خير، هنا يضحي الإنسان بكثير من الخير حسب مقاييسه، أشياء يحبها يرغب إليها لكن يتنازل عنها لأجل خير أعظم وأهم، هذا موجود في حياة الناس

النبي (ص) بهذا اللحاظ لا يختلف عن الناس فكذلك النبي كان يجد أموراً شرًا ويجد أموراً خيراً، يرغب إلى الخير يطلب الخير ويتتجنب الشر، لكن الناس يختلفون بلحاظ النظر إلى الخير والشر، معروف حينما يقال فلان الله معطيه خيراً، فماذا يتبادر إلى الذهن؟ المال، فالمال يُنظر إليه أنه هو الخير وأبرز الخيرات، فمثلاً قرأت في وقت من الأوقات أن امرأة مغنية تتحدث عن حياتها تقول حاولت وحاولت ولم أنجح إلى أن فتح الله لي بباب الخير فنجحت، ومثلاً شاب عينه على أن يكون له موقع معين في المجتمع فالخير في نظره هو هذا الموقع، أو شخص يريد أن يتزوج فتاة بمواصفات معينة هذه المواصفات هي الخير في نظره وهكذا، شخص يرى المال خيراً وشخص آخر يرى المال شرًا، نظرياً من السهل أن شخصاً يقول أن المال ليس مهماً لكن هو عملياً يتعامل مع المال باعتباره خيراً، لكن في الواقع هنالك بعض الناس يخافون من المال حتى إذا يشتهونه، شخص يشتهي شيئاً ولا يراه خيراً، هذا يحصل أو لا؟ يشتهي شيئاً ينجذب إليه بشهوته لكن في نفس الوقت في حينها إذا سُئل هل هذا الذي تفعله خير؟ يقول: لا، بل شر،

هذا موجود لكن هؤلاء قليلون

الآن هذا النمط من الناس موجودون بدرجات مختلفة، يشتهون المال لكن في نفس الوقت يخافون، يتعاملون مع المال -واقعاً- باعتباره شرًا، الآية التي يذكرها الله عز وجل ينقل كلام موسى ابن عمران (ع) (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْنَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا

الْعَذَابَ الْأَلِيمَ^٢، هَلْ مُوسَىٰ (ع) كَانَ يَرَى الْمَالَ شَرًا أَمْ خَيْرًا؟ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَقُولُ (إِنَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)^٣

والقرآن الكريم يبين مقاييس الناس (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) ^٤، (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) ^٥، يرى نفسه مهاناً ويعتبره شراً، هنا يتحول المال والنعمة والكرامة الظاهرة والجاه إلى مقاييس، خير الناس أكثرهم مالاً، خير الناس أبرزهم مقاماً جاهها، القرآن اعتبر المال فتنـة، في رواية في الكافي (مر رسول الله (ص) براعي إبل فبعث يستسقيه فقال أَمّا ما في ضروعها فصبح الحـي - ما يشرب بالغـدة - وأمّا ما في آنـيتـنا فغـبـوقـهم - ما يـشرـبـ بالـعشـيـ) - فقال رسول الله (ص): اللـهـمـ أـكـثـرـ مـالـهـ وـوـلـدـهـ ثـمـ مـرـ بـرـاعـيـ غـنـمـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ يـسـتـسـقـيـهـ فـحـلـبـ لـهـ مـاـ فيـ ضـرـوـعـهـ وـأـكـفـأـ مـاـ فيـ إـنـائـهـ فـيـ إـنـاءـ رـسـوـلـ اللهـ (ص)ـ وـبـعـثـ إـلـيـهـ بـشـاةـ وـقـالـ هـذـاـ مـاـ عـنـدـنـاـ وـإـنـ أـحـبـتـ أـنـ نـزـيـدـكـ زـدـنـاـكـ،ـ قـالـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ (ص)ـ اللـهـمـ اـرـزـقـهـ الـكـفـافـ فـقـالـ لـهـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ دـعـوـتـ لـلـذـيـ رـدـكـ بـدـعـاءـ عـامـمـنـاـ نـجـبـهـ وـدـعـوـتـ لـلـذـيـ أـسـعـفـكـ بـحـاجـتـكـ بـدـعـاءـ كـلـنـاـ نـكـرـهـ؟ـ!ـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ (ص)ـ:ـ إـنـ مـاـ قـلـ وـكـفـيـ خـيـرـ مـاـ كـثـرـ وـأـهـلـيـ اللـهـ اـرـزـقـ مـحـمـداـ وـآلـ مـحـمـدـ الـكـفـافـ) ^٦،ـ إـذـنـ النـاسـ لـاـ يـخـتـلـفـونـ فـيـ أـنـ فـيـ حـيـاةـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ يـوـجـدـ خـيـرـ وـأـخـيـرـ وـشـرـ وـأـشـرـ بـلـ يـخـتـلـفـونـ فـيـ مـعـرـفـةـ الـخـيـرـ وـالـشـرـ

النبي (ص) كان يرى الخير الكثير في ماذا؟ لو استطعنا أن نعرف هذا، هذا يوضح لنا معنى السورة، وكذلك يهدينا -إن شئنا أن نهتدي، إن كنا نفتقد الهدى وكنا نطلب الهدى، هذا شرط رئيسي في القرآن الكريم (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكَّرٍ) ^٧ هذا شرط- ففي نظرك هل كان النبي (ص) يرغب في هذا الخير الكثير الذي أعطاه الله عز وجل أم لم يكن يرغب فيه؟ هل

(یونس: ۸۸)

٣ (التغابن: ١٥)

٤ (الفجر: ١٥)

١٦ (الفجر :

الكافی (١٤٠/٢) ٦

القمر : ١٧

هذا بحاجة إلى استدلال وإثبات أنه (ص) كان يرغب في هذا الخير الكبير؟ وهل النبي (ص) يرغب في شيء لا يعرفه؟ هل يوجد إنسان يرغب في شيء لا يعرفه؟ فإذاً كان النبي (ص) يعرف ذلك الخير الكبير، ولذلك على الأكثـر لام الكوثر لام عهد يعني الخير المعهود بيني وبينك الذي أنت ترغب فيه وتریده

إذا شخص سألك بأن هذا النبي الذي أنت تشهد ببنوته وتكرر هذه الشهادة ما هو أعظم الأشياء خيرية له في نظرك؟ هل أن يكون له نهر في الجنة؟ أن يكون له حوض في الجنة؟ أن تكثـر ذريته كما يذكر بعض المفسرين؟ وأمثال ذلك، أم شيء آخر؟

هناك مقياس أن أكثر الأشياء خيرية في حياة كل إنسان هو الذي يستهدفه ولأجله يتحمل أكثر ما يتحمل ويضحـي أكثر ما يستطيع أن يضـحي، هذا تعرفـه؟ فهذا الهدف يراه أكثر خيرا ولأجله يتنازل عن كثير من الأشياء التي يرغب فيها، هل هذا صحيح أم لا؟ هذا المقياس نطبقـه على حياة رسول الله (ص) فأي شيء كان هو أخير وأكثر خيرا بالنسبة له؟ النبي (ص) عانـى أم لا؟ تلك المعانـاة كانت من أجل هـدـف أسمـى وأعلـى، فـمـاـذا كان ذلك الـهـدـف حتى يستدعي تلك المعانـاة؟

أنا يـبدو لي أن أقطعـ الحديث هنا لأنـ تـفكـرـ أنتـ لـتـجـيـبـ نفسـكـ وـتـعـلـمـ، تـنـمـوـ فيـ قـرـارـةـ نفسـكـ، ثمـ لوـ وـجـدـتـ إـجـاـبةـ فـكـرـ فيـ السـوـرـةـ (إـنـاـ أـعـطـيـنـاـكـ الـكـوـثـرـ) هلـ هـذـهـ الـآـيـةـ تـخـصـ بـالـنـبـيـ (صـ)ـ أمـ كـذـلـكـ إـذـاـ وـجـدـنـاـ هـذـهـ إـلـجـاـبةـ تـصـبـحـ الـآـيـةـ تـمـسـنـاـ نـحـنـ بـتـبـعـ النـبـيـ (صـ)ـ وـلـاـ تـقـتـصـرـ عـلـيـهـ، فـالـآـيـةـ تـكـوـنـ مـاـ نـزـلـتـ عـلـيـنـاـ كـذـلـكـ وـعـلـىـ كـلـ مـؤـمـنـ، فـالـآـيـةـ تـصـبـحـ آـيـتـكـ وـآـيـةـ أـيـ إـنـسـانـ يـطـلـبـ الـهـدـىـ

بهـذـهـ الـمـنـاسـبـةـ الشـرـيفـةـ نـرـجـوـ أـنـ يـفـرـجـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ عـنـاـ وـيـحـيـيـ أـمـرـنـاـ وـيـجـعـلـنـاـ مـنـ يـنـتـصـرـ بـهـ وـأـنـ لـاـ يـسـتـبـدـلـ بـنـاـ غـيـرـنـاـ، أـرـجـوـ أـنـ يـنـشـطـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ هـذـهـ الـهـمـةـ الـتـيـ خـلـقـهـاـ فـيـنـاـ وـأـنـ تـشـفـعـنـاـ الصـدـيقـةـ الـطـاهـرـةـ وـيـشـمـلـنـاـ دـعـائـهـاـ الـذـيـ يـنـقـلـ أـنـهـاـ كـانـتـ فـيـ لـيـلـةـ جـمـعـتـهـاـ تـدـعـوـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ وـالـمـؤـمـنـاتـ وـأـنـ نـكـونـ نـحـنـ مـنـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـالـمـؤـمـنـاتـ الـذـيـنـ كـانـ دـعـاءـ فـاطـمـةـ يـشـمـلـهـمـ، كـانـتـ فـاطـمـةـ (عـ)ـ تـأـمـلـ بـهـمـ تـنـتـصـرـ بـهـمـ تـرـجـوـ مـنـهـمـ الـخـيـرـ وـنـحـنـ إـنـ شـاءـ اللـهـ أـهـلـ لـذـلـكـ، وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ